المحاضرة العاشرة: السياق المدرسي لتعلم الاتصال (التفاعلات أستاذ/تلميذ)

سنركز في هذه المحاضرة على العلاقة التفاعلية التي يسعى الاتصال البيداغوجي إلى تحقيقها بين الأستاذ والتلميذ، باعتبارها إحدى الركائز الأساسية في العملية التعليمية حيث يساهم هذا الاتصال في بناء بيئة تعلمية محفزة، وتعزيز الفهم المشترك، وتشجيع التفاعل الإيجابي داخل الفصل الدراسي. فالتواصل الفعال لا يقتصر على نقل المعرفة فحسب، بل يمتد ليؤثر في سلوك المتعلمين، وينمي قدراتهم الفكرية والاجتماعية. كما أن طبيعة هذه التفاعلات تتأثر بعدة عوامل، مثل أسلوب التدريس، وخصائص الطلاب، والبيئة المدرسية، مما يستدعي توظيف استراتيجيات تواصلية متنوعة تضمن مشاركة جميع التلاميذ، وتعزز جودة التعلم.

1-دور الأستاذ في تعزيز الاتصال داخل القسم:

يعتبر الأستاذ أو المعلم القائد والمنظم لعملية الاتصال البيداغوجي، حيث لا يقتصر دوره على نقل المعرفة، بل يمتد ليشمل التأثير العاطفي وتنمية شخصية التلاميذ، خاصة وان العملية التربوية تتميز بالتفاعل المباشر، مثل تقديم التوجيهات، لكنها تكون أكثر فاعلية عند استخدام التأثير غير المباشر من خلال الجماعة أو طلاب معينين. وفي هذا السياق، يظهر في عملية التفاعل البيداغوجي جانبان أساسيان هما :

- الجانب الوظيفي-الدور: يتضمن تنفيذ وظائف وأدوار محددة.
- الجانب الشخصي: الصفات الشخصية لكل من المعلم والطلاب.

يركز الجانب الوظيفي-الدور في الاتصال البيداغوجي بشكل أكبر على تنمية الصفات المعرفية لشخصية الطالب، أي تطوير معرفتهم وفقا للمعايير التعليمية، وقدرتهم على استخدام المعرفة المكتسبة في مواقف جديدة، واقتراح طرق جديدة للحصول على المعرفة أو تطبيقها، بينما يقوم المعلم بمراقبة نتائج العملية التعليمية، أما الجانب الشخصي من التواصل البيداغوجي، فيؤثر بدرجة أكبر على الدوافع والمعاني الشخصية للفرد، حيث تساهم المعرفة العلمية ومحتوى التعليم في تطوير الصفات الأخلاقية لشخصية الطالب(Karabaevna, Kamilzhanovna & Sergeevna,2022,pp 177-178).

إن للبعد الشخصي للأستاذ دور مهم في نجاح عملية الاتصال البيداغوجي، وتتمثل في اتجاهاته وتصوراته العامة، وسمات الشخصية، وخلفيته الثقافية، وقد نادى الاتجاه النفسي للتربية بأهمية العوامل النفسية في التربية، ومن ثم في الاتصال البيداغوجي، ويؤكد على أن التربية عملية نمو للشخصية، وقد عبر عن هذا المبدأ المتزن "بستالوتزي" والذي عرف التربية على أنها عملية النمو المتزن المنسجم لجميع قوى الفرد، وأكدوا على دور ميل المتعلم ونشاطه الجسمي والخبرة والدافعية في عملية التعليم.(لكحل، 2018،ص171)

كما أوضح "رياردون" أن الكفاءة التواصلية للمعلم تعتمد على تكامل بعدين رئيسيين هما:

- **البعد المعرفي:** حيث يتضمن عمليات الوعي ومعالجة المعلومات المعرفية مثل الوعي الشخصي والاجتماعي، الاستيعاب، البناء المعرفي، مراقبة الذات، التعاطف، وغيرها.
- **البعد السلوكي:** الذي يتجلى في مظاهر متعددة للكفاءات التواصلية مثل الاندماج في التفاعل، المرونة السلوكية، الاستماع، وأساليب التواصل (Suyatno,Urbayatun,Maryani, Putra ,Dwi ,2019, p 39) .

2- التواصل البيداغوجي الفعال بين المعلم والتلميذ:

باعتبار أن المكان الذي يتحقق فيه فعل التعليم / التعلم هو غالبا القسم، فمن الملاحظ أنه داخل القسم تتأسس علاقات دينامية بين الأستاذ والتلاميذ تتجسد في العلاقات أو العلاقة التربوية وتتميز هذه العلاقة بطابع التعقيد حيث يعود ذلك إلى كونها تشكل مجموعة علاقات مختلفة في مضامينها ومتباينة من حيث أهدافها، ومتداخلة في ما بينها، إنها:

- أولا: علاقات إنسانية لأن تحققها يستدعي حضور وتفاعل العنصر الإنساني مجسدا في المدرس والتلاميذ.
- ثانيا: علاقات تواصل بيداغوجي لأن التعليم هو بالدرجة الأولى، إقامة تواصل مع التلاميذ.
- ثالثا: علاقات سيكولوجية وسيكو سوسيولوجية، لأن فعل التعليم يتم في غالبية الأحيان في إطار جماعة القسم، فهو ذو طبيعة جماعية. هذا بالإضافة إلى أن انجازاته تكون دائما مرفوقة بتبادلات وجدانية مختلفة. (العجال،2021،ص279)

يتجسد التواصل البيداغوجي الفعال في عمليات ومظاهر وسيرورات تواصلية بين المعلم والمتعلمين، في سياق وضعية تعلمية بغاية تبليغ محتواها وتبادله وفق ما يسمى بالتأثير والتأثر، بواسطة أساليب لفظية وأخرى غير لفظية كالحركات والإماءات وتعابير الوجه، ولتكون هذه العلاقة البيداغوجية علاقة حقيقية لابد أن تستوفي الشروط التالية التي يراها "بياجي":

- أن لا يكون المعلم متمركزا حول ذاته.
- تحفيز المتعلم وشد انتباهه فهو يزيد التواصل نشاطا وفاعلية.
- أن تقوم على العلاقات الاجتماعية والإنسانية بين المعلم والتلميذ(بقاش وفرفار،2022،ص 508).

كما أن هناك عشرة مبادئ رئيسية للاتصال البيداغوجي بين المعلم والطلاب من خلالها يتم تحقيق التعلم الفعال وهي:

- إظهار الحماس .
- بناء علاقات انسانية مع الطلاب
- جعل الطلاب محور العملية التعليمية
- تعزيز الثقة بين المعلم والطلاب
- خلق بيئة من التفاعل والتعاون
- مراعاة القدرات الفكرية للمتعلمين منذ بداية الدرس.
- جعل الطلاب يشعرون بالتحدي والمشاركة الفعالة.
- إتقان المادة التعليمية من قبل المعلم.
- تفهم أنماط التعلم المختلفة للطلاب.
- التسامح والتكيف مع بعض السلوكيات غير المرغوبة. (Suyatno,Urbayatun,Maryani, Putra ,Dwi ,2019,p39)

أما بالنسبة لأهم الصفات التي يحبذها التلاميذ في أساتذتهم ويوطد التفاعل الإيجابي بينهم وينجح من عملية الاتصال البيداغوجي نجد مايلي:

- الكلام المنظم الواضح الذي يستوعبه العقل بسهولة
- إحساس التلاميذ بحب المدرس لهم
- مساعدة التلاميذ على حل مشاكلهم والاهتمام بحاجاتهم.
- الاستماع إليهم وفهم مشكلاتهم، والتواصل معهم، ومشاركتهم نجاحاتهم وجعلهم يشعرون بأهميتهم ومعاملتهم بصراحة والتعامل معهم بدون تمييز.
- أن يكون لطيف بطبعه ولديه روح الدعابة و أهل للثقة
- العدالة في معاملتهم وبشاشة الوجه والابتسامة والعلاقات الجيدة
- لا ينفعل على الطلاب، أن يكون بشوشا مرحا، يحترم الطالب و يعامله معاملة تليق به مع تقديم المساعدة، التشجيع، تقبل مشاعر التلاميذ، ممازحة التلاميذ.(بلعالية وبن طاهر،2015، ص163)